دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الطبيعة والفن المعماري التقليدي والزخرفي في منطقة عسير
المصدر:	بيادر
الناشر:	نادي أبها الأدبي
المؤلف الرئيسي:	الشهراني، علي عبدالله مرزوق
المجلد/العدد:	ع27
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1999
الشهر:	جمادى الأول
الصفحات:	171 - 175
رقم MD:	735827
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	منطقة عسير
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/735827

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الطبيعة والفن المعماري التقليدي والزخرفي في منطقة عسير

علي مرزوق الشهراني

البيئة منذ القدم تعد المصدر الأول الـذي يـأخذ منـه الإنسـان رمـوزه وأشـكاله وعناصـره ، ففي ضوء الظروف الطبيعية والمناخية تنمو وتتدرب حواسه علـى اسـتقبال ما تكتـنزه بيئتـه مـن صـور وأشـكال وحجـوم ومسـاحات ، فبعـد أن يدركهـا بحواسـه ويفهمها يستعمل ما يناسبه منها مطلقاً لخياله العنان كي يبدع ويصور ، من هذا المنطلق تصبـح البيئـة بمـا تحملـه مـن طاقـات طبيعيـة ومظـاهر متغيرة بتغير الأحـوال المناخيـة والأوضـاع الجغرافيـة والتضاريسـية ، كلهـا عوامـل أساسـية لنمـو الطاقـات التعبيريـة (الحسية والعقلية والوجدانية) لدى الإنسـان ، وهـذا مـا تؤكـده الاكتشـافات الحديثة حيث يقول (رياض) [1] ، أن الإنسان الأول في رسومه وتخطيطاته الأولية علـى جـدران الكهوف منذ خمسة عشر ألف قبيل الميلاد كان متأثراً بالطبيعة من حولـه ، فكـانت تعـد مصدره الوحيد في تعبيره الفني ، وإذا كانت العمارة أم الفنون فإننا نرى كيف اسـتطاع الإنسان أن يكيف هذا الفن المعماري ليلائم حياة من يسكنه ، فكان الإبـداع المعمـاري السابق وما زال ظاهرة متميزة رافقت التاريخ البشري منذ نشـأته وفي مختلـف عصـوره وتطوره واكتسب خلال مسيرته طابعاً يمتد من بعدين أساسيين هما الزمان والمكان .

إن الإبداع المعماري يعد من أعرق الفنون على الإطلاق ، وبذلك تجمع العمارة من الناحية التحليلية بين الفن والعلم كحصيلة موضوعية لتفاعل التفكير الإنساني مع البيئة الطبيعية المحيطة به وما ينتج عن ذلك التفاعل من إشباع لمتطلبات الفرد المادية والروحية ، ولما كانت البيئات تختلف الواحدة عن الأخرى فقد اختلفت تبعاً لذلك أشكال الإبداع المعماري[٢] . وبيئة منطقة عسير بما تمتاز به من قوة وجمال ، تعد واحدة من هذه البيئات المتميزة حيث الجبال الشاهقة والوديان السحيقة والسهول والمنحدرات التي تتغير مظاهرها وأشكالها بتغير أضواء الشمس وظلال السحب ، إضافة لما تتمتع به المنطقة من خضرة دائمة وجو عليل ، هذه الطبيعة لا بد أنها أشبعت قلوب أبنائها وأحاسيسهم ، فأكسبتهم الثبات والاستقرار وسعة الخيال ، فتأثرت بها أفكارهم ورؤاهم ، وانعكس كل ذلك على إبداعاتهم وأعمالهم الفنية ، لأن الجوانب الجمالية في البيئة كما أوضح الرزاز [٣] تعد فرصة أساسية للفنان يلجأ إليها كقاموس ثري للألوان والخطوط والأشكال والعلاقات التي تربط بين العناصر في تكوينات جميلة معبرة ـ ويضيف ـ بأن الفنان الجيد هو الذي يملك القدرة على تأمل الطبيعة وتمييز مواطن الجمال فيها حيث أنها منبع أساسي لا ينضب . وهذا ما اتبعه أجدادنا وجداتنا فها هي مبانيهم التقليدية بما تحمله حوائطها الداخلية والخارجية من نقوش وزخارف تقف شاهدة على ذلك ، هذه المباني والزخارف نمت وترعرعت وسط هذه الطبيعة الخلابة ، فشكلت بذلك كتلة واحدة لا تنفصل عن بعض لتكسب المكان الذي وضعت فيه هيبةً ووقاراً وتضيف إليه جمالاً على جماله ، حتى أصبحت جزءً من طبيعة الوادي أو التل أو الجبل الذي تجاوره ، ولقد أشاد (سكان بلان)[٤] بعمارة عسير التقليدية واصفاً إياها بقوله : انظر إلى المسكن كوحدة سكنية قائمة بذاتها ، وانظر إلى ما يجاوره تجد نفسك أمام توازن عمراني متناغم رائع ، كذلك الأمر بالنسبة للقرية مجتمعة سواء أكانت في

بطن واد أو رابضة على تلة ، يبقى التناغم في التكوين الحيزي العام ماثلاً ـ ثم يواصل كلامه ـ الحديث عن الطابع التقليدي للعمارة في عسير ينقلنا في رحلة نتذكر معها العمارة في البلدان الأخرى في هذا العالم ، إلا أننا نقولها هنا ولا نكون مبالغين في قولنا من أن الطابع المعماري التقليدي في منطقة عسير يُعد بمثابة جهد إنساني وإسهام بارز يُضاف إلى العمارة العالمية ، وهذا ما يؤكده (حماد)[٥] بقوله : إن التخطيط الجيد يجب أن تكون دراسته شاملة لتخطيط الموقع والشكل والكتل وتفاصيل كل مبنى وعلاقته بالموقع جميعه وبالمباني المجاورة وبكل المناظر المحيطة به ، إذ أنه لا يمكن أن نفصل تخطيط الموقع عن المناظر المحيطة به ، إذ أنه لا يمكن أن نفصل تخطيط الموقع عن المناظر المحيطة به أو خلفية الموقع بل يجب أن يمتزج معه كمنظر أمامي مكون من ميادين وخضرة تتحد بانسجام مع الكتل ولون المباني ثم مع المنظر الخلفي . ولأن المواد والخامات المستخدمة في البناء والزخرفة بمنطقة عسير كالأحجار بأنواعها والطين والخشب والألوان من معطيات البيئة من حولها فإن ذلك أدى إلى الانسجام والتكامل مع البيئة ، فالفنون كما يذكر (محمد)[٦] أخذت أشكالاً مختلفة حسب البلدان التي ظهرت فيها لتأثير البيئة عليها من مناخ وموقع جغرافي ومواد بناء ، وقد أثرت عليها أيضاً عقائد الأمم وأخلاقهم وعاداتهم .

فلقد كان لظروف الطبيعة في منطقة عسير وما بها من خامات ومواد ، إضافة لعقيدتهم الدينية السمحة وتصوراتهم وأحوالهم الاقتصادية والأمنية ، وما جُبلوا عليه من نشاط وامتازوا به من كفاءة وإتقان أثرها الواضح على ما أبدعوه من فن معماري وزخرفي .

لقد أدرك أهل عسير أهمية تجميل وتزيين مساكنهم فكانت الطبيعة من حولهم بما تمتاز به من جمال مصدر إلهامهم فخرجت لنا بشكل فني بديع لا نزال نعيشها

ونشاهدها حتى الآن ، صحيح أن رسومهم وزخارفهم كانت قائمة على المثلث والدائرة والمربع إلا أنهم كما يذكر (البسيوني) [٧] لم يبتعدوا عن العالم أو مدلولات الطبيعة كلية لأن المثلث يمكن أن يوحي بعشة أو جبل أو تل ، والدائرة قد توحي بالقمر أو الشمس ، والمربع يمكن أن يوحي ببيت أو شباك ، فالإنسان يترجم هذه الرموز بخبرته الذاتية الماضية . وهكذا فالجبال تتحول إلى مثلثات مترابطة ، والقمر إلى دائرة والنوافذ والفتحات المعمارية تتحول إلى مربعات مترابطة أو معينات متماسة ، حتى الألوان فلون السماء الزرقاء يتحول إلى خطاً أزرقاً يؤطر الزخارف ، كما يكثر استخدام اللون الأخضر ليشغل حيزاً كبيراً من الحائط مستخدمين في ذلك عصارة البرسيم الأخضر الذي يعكس ما تتمتع به المنطقة من غطاء نباتي كثيف .

إن المتتبع للزخارف الشعبية المتعلقة بالعمارة التقليدية بمنطقة عسير يلحظ هذا التكامل والتآلف مع البناء ، فلا يكاد يلحظ أي انفصال بين المبنى وزخارفه والطبيعة من حوله ، وبذلك استطاعت المرأة في عسير بفطرتها وتلقائيتها أن توظف عناصر الطبيعة داخل منزلها عن طريق التلوين والتشكيل والزخرفة لتتحول المباني إلى عالم بديع غني بالألوان والخطوط والمساحات ، وهو نفس الأسلوب الذي انتهجه الفنان (موندريان) عندما رسم الطبيعة حيث قام باختصارها وتحويلها تدريجياً إلى خطوط وألوان ومسطحات ثم إلى أشكال وألوان مجردة عن الواقع تحمل إيقاعاً هندسياً جميلاً .

الحواشي :

١ - رياض ، عبدالفتاح . التكوين في الفنون التشكيلية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م ، ص٢٧ .

٢ - الفضبان ، شادي ، العمارة المحلية ، جذور وآفاق ، مجلة عالم البناء ، العدد (٦٩) ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، ص٢٧ .

٣ - الزراز ، مصطفى وآخر . التذوق الفني وتاريخ الفن ، وزارة التربية والتعليم ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٩٣م ، ص٩ .

٤ - بلان ، سكان . المخطط الرئيسي التنفيذي لمنطقة أبها ، وزارة الشؤون البلدية والقروية ، وكالة الوزارة لشؤون تخطيط المدن ، ١٩٨٢م ، ص٤٢ .

٥ - حماد ، محمد . تخطيط المدن وتاريخه ، مطبعة المعرفة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٦٥م ، ص١٣ .

٦ - محمد ، محمود وصفي . دراسات في الفنون والعمارة الإسلامية . دار الثقافة للطبعة والمشر ، بدون تاريخ ، ص٢١ .

٧ - البسيوني ، محمد . تربية الذوق الجمالي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٦م .

٨ - البسيوني ، محمد . أسرار الفن التشكيلي ، عالم الكتب ، ط٢ ، ١٩٩٤م ، ص٢٥٠ .